

بشكل خارجي ، دون الدخول الى عملية اعادة تقييم لشعر درويش والنظر اليه من خلال التطور نحو القصيدة — الرؤيا ، التي هي نسيج واقعي يعيد تركيب الواقع بجزئياته عبر طهوح الشاعر العربي المعاصر الى تحويل الشعر من مجرد صوت يصف الحدث ، الى صوت فاعل داخل حركة المسار التاريخي للحركة الثورية العربية .

د — اين يقع الشعر الفلسطيني ضمن الحركة الشعرية العربية المعاصرة ؟ واذا كان محمود درويش هو احد اجزى ممثلي هذا الشعر فايين موقعه الغني ؟ على هذا السؤال لا يجيب الناقد الا في الفصل الاخير من كتابه — ماذا نتعلم منه ومن رفاته — فاذا به يكشف ضرورة تعلم الصمود وروح التفاؤل . وليدل على قوله وعلى الاثر الذي احده شعراء الارض المحتلة فانه يستشهد بالتطور الذي حصل في شعر فدوى طوقان وابو سلمى ونزار قباني . فطوقان تتخلى عن رومانيتها وابو سلمى يتخلى عن حزنه وقباني يوقظه صوت الهزيمة من احلامه الناعمة والهادئة . واذا بشعر الارض المحتلة يعيد «الامل الى النفس العربية ... وانتقل بالشعر والشعراء الى عالم جديد وموقف جديد من الحياة ، ليس فيه يأس ولا بكاء بل فيه امل وتفاؤل ونظرة الى الامام » . بهذا يعطي رجاء النقاش بديلا عن الحب القاسمي حبا اقسى واشد مرارة . فالشعر الفلسطيني في الارض المحتلة لعب دورا كبيرا في حياتنا الثقافية والنضالية ، لا سيما في فترة صعود المقاومة ، فكان ان واكبها وغنى جراحاتها انطلاقا من واقعه النضالية الخاصة . لكن هذا الشعر لم يستطع ان يتطور كي يصل الى مستوى القدرة على الرؤية التاريخية حتى الان . اي انه في مستوى رد الفعل على القمع والسحق وليس في مستوى الفعل التاريخي الثوري . اما الاثر الايجابي على فدوى طوقان او نزار قباني فانه ليس بالمستوى السذي يكلبنا الناقد عنه . فدوى طوقان لا تزال اسيرة لرومانيتها وان جرت الكثير من التطورات في شعرها ونزار قباني عاد الى سيرته القديمة شاعرا للبرجوازية المرفهة .

ان شعر الارض المحتلة شكل ردينا للحركة الشعرية العربية المعاصرة ، بان استقطاع ان يضيف اليها بعد التعلق الشديد بالارض والنسج حولها نسجا رومانسيا ومن ثم واقعا حاد الثبرات عميق القسما . لكن الشعر العربي بأسره

وشعر درويش من ضمنه لا يزال ضمن عبليّة البحث عن القدرة على التعبير الغني عن جراحات الانسان العربي . هذا البحث وان كان خائفا في الارض المحتلة ، فانه خارجها يأخذ كل زخمه حيث يجد الادب نفسه مواجهها بالهزيمة ومواجهها بالبحث عن رده عليها ضمن حركة البحث الشاملة والتضالات التي تجري على الارض العربية .

ه — ان هذا البحث الذي يجري على المستوى الشعري يطرح قضية علاقة الشعر بالمعركة . ما هو الشعر الثوري وما هو الشعر المقاوم ؟ الكتاب لا يجيب على هذا السؤال بل يأخذ ظاهر شعر محمود درويش الذي يدعو الى المقاومة والى التمسك بالارض ، دون ان يربطه بالثورة على مستوى الشكل الشعري والايقاع الموسيقي في القصيدة . من هنا يبدو ان السؤال حول ثورية شعر محمود درويش يبقى معلقا دون الاجابة . والواقع ان هذه القضية النظرية هي القضية المركزية لاي بحث في الشعر الفلسطيني المعاصر . فهذا الشعر هو وليد بيئة تتفجر بالانتفاضات الثورية . من هنا معالجة قدرة هذا الادب على الوصول الى افق الادب الثوري — بمعنى قدرته على ان يجمع في ذاته الافق الثوري وتضايها الطبقات الثورية مبلورا اياها في نسيج فني جديد يتصدى للذوق السائد الذي بشرطه فكر الطبقات السائدة . فهو يتعامل مع التراث بشكل جديد . استيعاب وتجاوز — ثم يخط لنفسه طريقا جديدا في المخاطبة والحرية .

لكن كتاب رجاء النقاش يقف عند حدود مرسومة سلفا . هذه الحدود هي حدود النشوة التي تحدثها فينا قصائد درويش وقدرتها على تعبئتنا في سبيل المعركة . هذه النشوة بدأنا نفتقددها مع المحاولات الشعرية الجديدة للشاعر التي يريد بها القدرة على التعبير عن موقف شامل . القدرة على الصياغة الواقعية التي تجاور الحلم . حيث يصبح للاشياء منطقتها الجديد . المنطق الثوري الخاص بها ، حيث التذاعي يأخذ مداه والحلم يصير لباس الشاعر والموسقة تتخذ لها طريقا جديدا . فمرة يموسق النثر ومرة يجعل الموسيقى الداخلية التي تنفجر من العلاقة النغمية التي للحروف بعضها ببعض الاخر مادة لوسيقاه . هكذا يكون الاطار الذي رسمه الناقد ليس هو اطار الشاعر وهنا تحدث اهم مفارقات الكتاب . انه كتاب مرحلة تنتهي . فالرحلة الجديدة لا يصفها